

# الفصل الثامن

## مقالات المؤلفين الإسلاميين

ذكرنا في الفصل السابق قول العلماء الغربيين من المستشرقين ومؤرخي الفلسفة في الفلسفة الإسلامية ، وتبعنا نظرهم إليها وحكمهم عليها منذ تأسيس تاريخ الفلسفة بالمعنى الحديث إلى أيامنا هذه .

ونريد في هذا الفصل : أن نتناول آراء المؤلفين الشرقيين من أهل البلاد الإسلامية الذين كتبوا مؤلفاتهم بالعربية غالباً .

وسنحاول أن نبين وجهة نظرهم إلى الفلسفة الإسلامية ومقالاتهم في أصولها وحكمهم على منزلتها .

وقد يكون من العسير أن نسلك في هذا البحث نفس النسق الذي سلكناه في الفصل الأول ، خصوصاً فيما يتعلق بمراجعة الترتيب التاريخي في سرد الآراء وملاحظة تطورها ، على أننا سنبدل جهدنا في التقريب بين مناهج الباحثين .

### الفلسفة والأدب العربي :

يقول القاضي أبو التمام (صاعد بن أحمد) المتوفى سنة ٤١٢ هـ (١٠٧٠ م) في كتابه «طبقات الأمم» بعد ذكر علم العرب في جاهليتهم :  
« وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عز شيئاً منه ، ولا هياً طباعهم للعناية به ؛  
ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي<sup>(١)</sup> »

(١) المتوفى نحو سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) على ما ذكره ( نلينو ) في محاضراته في تاريخ الفلك عند العرب ، والراجح أنه توفي في أواخر سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) كما حققناه في البحث المنشور في «مجلة كلية الآداب» بعنوان : « أبو يوسف يعقوب الكندي » ، سنة ١٩٣٣ .

وأبا محمد (١) الحسن الهمداني « (٢) .

وكلام صاعد نص في أن العرب لم يكن عندهم شيء من علم الفلسفة ، وفي أن طبيعتهم خلوا من التهيؤ لهذا العلم إلا شذوذاً .

لكن الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ( ١١٥٣ م ) يقول في كتابه « الملل والنحل » عند الكلام على الفلاسفة في الأمم المختلفة :

« ومنهم حكماء العرب ، وهم شذمة قليلة لأن أكثرهم حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر ، وربما قالوا بالنبوات » (٣) .

فالشهرستاني يرى أن العرب قبل الإسلام كان عندهم حكماء ، هم شذمة قليلة ، وكان عندهم حكمة أكثرها فلتات الطبع وخطرات الفكر . ولا شك أن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون كلمة (حكمة) وكلمة حكماء .

ولم يبين صاحب كتاب « الملل والنحل » في هذا القول سبب قلة الحكماء عند العرب ، ولم يرد ذلك إلى طبيعتهم على نحو ما صنع القاضي أبو القاسم صاعد ، بل هو لم يرد ذلك إلى طبيعة العرب عندما ذكر آراء الناس في تقسيم أهل العالم فقال :

« من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدل عليها الألوان والألسن ؛ ومنهم من

قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب

الأمم ، فقال : كبار الأمم أربعة : العرب ، والعجم ، والروم ، والهند ، ثم زاوج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى

تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الأمور الروحانية ؛ والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تقرير

---

(١) المتوفى بسجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ ( ٩٤٦ م ) كما في « إخبار العلماء بأخبار

الحكماء » للقطبي . (٢) ص ٤٥ . طبعة بيروت .

(٣) ص ٢٥٣ ، من طبعة ليطسك سنة ١٩٢٣ م .

طبائع الأشياء ، والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور  
الجسمانية» (١) .

ولم يرد الشهرستاني ذلك إلى طبيعة العرب عند الكلام على آراء العرب في  
الجاهلية (٢) ، وسيأتي ذكر هذا النص في كلام الأستاذ أحمد أمين بك .

على أن الأستاذ أحمد أمين بك يرى رأياً آخر في كلام الشهرستاني ، فهو يقول  
في كتابه « فجر الإسلام » ما نصه :

« لاحظ بعض المستشرقين أن طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الأشياء نظرة  
عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك ، وقبله لاحظ هذا المعنى بعض المؤلفين  
الأقدمين من المسلمين ، فقد جاء في « الملل والنحل » للشهرستاني عند الكلام  
على الحكماء :

« الصنف الثاني حكماء العرب وهم شردمة قليلة ، وأكثر حكمهم فلنات الطبع  
وخطرات الفكر » .

« إن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد . . . والمقارنة بين الأمتين  
مقصورة على اعتبار خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات ، والغالب عليهم  
الغطرة والطبع ؛ وإن الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة  
مقصورة على اعتبار كيفية الأشياء والحكم بأحكام الطبائع ، والغالب عليهم  
الاجتهاد والجهد» (٣) .

ولست أرى أن كلام الشهرستاني بسبب من عجز العقل العربي عن النظر إلى  
الأشياء نظرة شاملة ؛ بل قد يكون على عكس ذلك .

فإن الذي يفهم من نصوص الشهرستاني هو أن العرب والهند يميلون إلى الأحكام  
الكلية والأمور العقلية والمجردات ، وهم ينزعون إلى الروحانيات ، بخلاف الروم  
والفرس الميالين إلى الأمور الجزئية ، وإلى تتبع آثار الطبائع والأصنجة وما يقع عليه

(١) ص ٣ . (٢) ص ٤٢٩ .

(٣) « فجر الإسلام » - الجزء الأول - الطبعة الأولى - ص ٤٩ .

الحس من الأجسام والجسمانيات . ولعل قول الشهرستاني : « إن أكثر حكم العرب فلتات الطبع وخطرات الفكر » ، وقوله : « والغالب عليهم الفطرة والطبع » ، كل ذلك لا يخرج عما يقوله الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين » : « إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للمعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الشان علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم ، وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال وكأنه إلهام » (١) .

ولا يريد الجاحظ بمقاله إلا أن يصف العرب بسرعة الذكاء وحدة الذهن وإصابة الرأي فيما يحتاج غيرهم فيه إلى أناة وطول تفكير واستماعة وبحث .

هذا ويوشك أن يكون التخالف بين مقال صاعد ومقال الشهرستاني في أمر الفلسفة عند العرب يرجع إلى عدم اتفاقهما على المراد بالفلسفة التي يتكلمان عنها . فصاعد يريد بالفلسفة النظر العقلي الموجه إلى تعرف الحقائق على أسلوب علمي ، وهو يذكّر ما يذكّره من علوم العرب كعلم لسانها ، وعلم الأخبار ، ومعرفة السير والأمصار ، ثم يذكّر معرفتهم لمطالع النجوم ومغاريبها ، وأنواء الكواكب وأمطارها ، فيقول :

« على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة ، لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم » (٢) .

فلم يكن عند العرب علم على طريق تعلم الحقائق والتدرب في العلوم مطلقاً ، لا ما يسمى بالفلسفة ولا غيره .

أما الشهرستاني فالظاهر أن الفلاسفة عنده يقابلون أهل الديانات والنحل . وهو يقول :

« فالستبدون بالرأي مطلقاً هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة »

والبراهمة ، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمسية ، بل يضعون حدوداً عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها . . . والمستفيدون هم القائلون بالنبوات» (١) .

وقد كان عند العرب من غير الصابئة والبراهمة من يضعون لهم حدوداً عقلية تكفل شيئاً من النظام والعدل لمعيشتهم هم حكماؤهم وحكامهم .

وهذا التفكير العقلي وما إليه يسعى فلسفة عند الشهرستاني ، ما دام غير معتمد على أساس من الدين وإن لم يكن على المنهج العلمي .

وصاعد مع قوله بأن العرب لم يمنحهم الله شيئاً من علم الفلسفة ولا هيباً طباعهم للعناية به ، فإنه لم يبين لنا ما هي تلك الطبيعة العربية التي تنبوع عن الفلسفة .

أما الشهرستاني فقد ميز الطبيعة العربية تمييزاً يجعلها قريبة من النظر المجرد والمباحث السكلمية التي هي بالفلسفة أشبه . ثم ذكر أن حكماء العرب قائلون وأكثر حكمتهم بديهية وارتجال ، ولم يبين وجهة لقلة حكماؤهم مع توفر استعدادهم الطبيعي .

وجاء بعد ذلك عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) فذهب في بيان معنى الفلسفة مذهباً غير بعيد من رأى الشهرستاني ، فهو يقول في المقدمة : « اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلها وتعلما على صنفين :

(١) صنف طبيعي للإنسان يهتدى إليه بفكره ؛

(٢) وصنف نقلي يأخذ عن وضعه .

والأول هو العلوم الحكيمية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأبحاثها براهينها ووجوه تعليمها ، حتى يقفه نظارته ويخشع على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر .

والثاني العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ،

ولا مجال للتفكير فيها إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول» (١) .  
ويظهر أن هذا الفيلسوف الاجتماعي لا يرى رأى القائلين بأن في طبيعة العرب ما يصددهم عن الفلسفة ويضعف استعدادهم لها ، إذ هو لا يقسم البشر أجناساً لكل جنس طبيعة لازمة ، على نحو ما يميل إليه صاعد والشهرستاني فيما يؤخذ من كلامهما ، بل هو يردّ صفات الشعوب الحسية والمعنوية إلى عوامل طارئة من الهواء واختلاف أحوال العمران . فهو يبين في « مقدمته » أثر الموقع الجغرافي وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم ، ويذكر اختلاف أحوال العمران في الخصب والجذب ، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم .

وقد عقد في المقدمة فصلاً للكلام على أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم ، حلل فيه الأسباب التي يرى أنها صرفت العرب عن العناية بالعلم والفلسفة في جاهليتهم وإسلامهم ، وهي أسباب خارجة عن طبيعتهم الجنسية . قال في هذا الفصل :  
« من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية ، إلا في القليل النادر ؛ وإن كان منهم العربي في نسبه فهو عجمي في لغته وصرباه ومشيوخته ، مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي . والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال البداوة والبداءة . . . والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين . »  
وبعد أن ذكر نشأة العلوم الشرعية وغيرها قال :

« فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة إلى التعليم ، فاندرجت في جملة الصنائع . وقد كنا قدمنّا أن الصنائع من منتحل الحضرة وأن العرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب . . . وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة ، فشغلهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه ، فإنهم أهل الدولة وأولو سياستها . . . مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ

بما صار من جملة الصنائع ؛ والرؤساء أبداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يحجر إليها . وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تطير في الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه ، واستقر العلم كله صناعة ، فاختصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن انتحالها ، فلم يحملها إلا الماعون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً <sup>(١)</sup> .

فإن خلدون لا يرى أن انصراف العرب عن الفلسفة إلا قليلاً كان لقصور في طبيعتهم ، ولكنه كان بحكم البداوة البعيدة عن ممارسة الصناعات العامة وغيرها ، ثم بحكم اشتغالهم بالرياسة وتسيير الدولة والدفاع عنها ، واستنكافهم عن معالجة الصناعات حتى العامة منها التي تركوها المرءوسين من الأعاجم .

وعرض تقي الدين أحمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ( ١٤٤١ م ) في « الخلط » لفلاسفة العرب في الجاهلية فحاملهم دون غيرهم من فلاسفة الأمم ، وجعل فلاسفة الإسلام في نسق مع حكماء الروم حتى لكانهم طبقة منهم ؛ قال :  
« واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من المهندم الطيسيون <sup>(٢)</sup> والبراهمة ، ولهم رياضة شديدة ، وهم ينكرون النبوة أصلاً ، ويطلق أيضاً على العرب بوجه أنقص ، وحكمتهم ترجع إلى أفكارهم وإلى ملاحظة طبيعية ، ويقرون بالنبوات ، وهم أضعف الناس في العلوم ؛ ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات ، فمنهم أساطين الحكمة وهم أقدمهم ، ومنهم المشاؤون ، وأصحاب الرواق ، وأصحاب أرسطو ، وفلاسفة الإسلام <sup>(٣)</sup> .

#### مصادر الفلسفة في الطب الإسلامي :

لم يكن للعرب في جاهليتهم حظ من الفلسفة من حيث هي علم له موضوعه وأسلوبه في البحث وغايته .

(١) ص ٥٤٠ — ٥٤٢ .

(٢) في لسان العرب : والطيسان كورتان بخراسان . وبهامشه نقلاً عن ياقوت أنهما كورتان إحداهما يقال لها طيس النمر والأخرى يقال لها طيس العناب . والفرس لا يتكلمون بهما إلا مفردين . (٣) ج ٤ : ص ١٦٣ .

لكن هذا العلم كان موجوداً عند أمم من غير العرب ، وانتقل منها إلى العرب في ريمان دولتهم الناهضة .

الاعتراف بسلطان الفلسفة اليونانية :

قال ابن خلدون في المقدمة :

« واعلم أن أكثر من عني بها (يعنى العلوم العقلية) في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام ، وهما : فارس<sup>(١)</sup> والروم<sup>(٢)</sup> .

وجاء في كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء »<sup>(٣)</sup> في ترجمة الكندي :

« يعقوب بن إسحاق . . . أبو يوسف الكندي المشتهر في الملة الإسلامية

بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية »<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكر صاحب<sup>(٥)</sup> كتاب « الفهرست » أسماء<sup>(٦)</sup> من نقلوا إلى العربية

كتب العلوم الفلسفية في عهد العباسيين عن اليونانية والفارسية والهندية .

وفي ذلك اعتراف بقيام العلوم الفلسفية في الإسلام على أصول يونانية وفارسية

وهندية ، لكن ابن خلدون يقول في المقدمة :

« وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً . . . ولما فتحت

أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة ، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن

الخطان ليستأذن في شأنها وتلقيها للمسلمين ، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في

---

(١) يطلق لفظ الروم عند العرب على سكان الإمبراطورية الرومانية الشرقية أحياناً ،

ويطلق في الغالب على اليونان (٢) ص ٤٥٣ .

(٣) الكتاب المطبوع في مصر بعنوان كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء »

المنسوب للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ( ١٢٤٨ م ) ليس هو في الواقع كتاب ابن القفطى ، ولكنه مختصر وضعه محمد بن علي الخطيبي

الزوزنى ولا يعرف إلا اسمه ، وتاريخ فراغه من مختصره سنة ٦٤٧ هـ ( ١٢٤٩ م ) .

(٤) ص ٢٤٠

(٥) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم ، ورد في بعض النعاليق المكتوبة

بظهر نسخة خطية بمدينة ليدن من أعمال هولندا أنه توفي سنة ٣٨٥ هـ ( ٩٩٥ م ) ، وصنف

كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ هـ ( ٩٧٨ م ) (٦) ص ٢٤٤ — ٤٥ .

الماء ، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه ، وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا»<sup>(١)</sup> .

ومهما يكن من أمر هذه الرواية ، فإنها لا تثبت أن آثار الفرس محيت كلها ؛ غير أنها قد تدل على أن ما وصل إلى العرب من مؤلفات الفرس هو دون ما وصل إليهم من مؤلفات اليونان مثلا .

واعتراف مؤلفي العربية بأن علوم الفلسفة دخيلة عليهم ، ظاهر في شيوع وصفها في كتبهم بأنها من علوم الأوائل والعلوم القديمة ، في مقابلة العلوم المحدثه في الملة الإسلامية . وقد جاء هذا التعبير في كتاب «الفهرست» لابن النديم ، وكتاب «طبقات الأمم» لأبي القاسم صاعد ، و «كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء» ، وغيرها .

«واسم الفلسفة — كما نقلنا عن الفارابي صاحب<sup>(٢)</sup> «عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» — يوناني ، وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم فيلاسوفيا ، ومعناه إيشار الحكمة ، وهو في لسانهم مركب من فيلا وسوفيا ، ففيلا «الإيثار» وسوفيا «الحكمة» . والفيلسوف مشتق من الفلسفة ، وهو على مذهب لسانهم فيلاسوفوس ، فإن هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم ومعناه «المؤثر للحكمة» ، والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل الوكيد من حياته وغرضه من عمره الحكمة<sup>(٣)</sup> .»

واستعمال العرب للفظ «الفلسفة» اليوناني إشعار بأن مصدر الفلسفة عندهم يوناني ، بل إن مؤلفي العرب يرون أن الأصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم . قال صاحب كتاب «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» :

(١) ص ٤٥٤ .

(٢) هو موفق الدين أبو العباس حمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى

سنة ٦٦٠ هـ (١٢٧٠ م) (٣) ج ٢ ص ١٣٤ .

« وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية »<sup>(١)</sup> .

وقال صاحب كتاب « الملل والنحل » :

« فنحن نذكر مذاهب الحكماء القدماء من الروم واليونانيين في الترتيب الذي نُقِلَ في كتبهم ، ونُعقِب ذلك بذكر سائر الحكماء ؛ فإن الأصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم ، وغيرهم كالعبيال عليهم »<sup>(٢)</sup> .

وفي كتاب « أبجد العلوم » لحسن صديق خان :

« وجميع العلوم العقلية مأخوذة عن أهل يونان »<sup>(٣)</sup> .

والرأى السائد عند المؤلفين الإسلاميين هو أن الفلسفة الإسلامية ليست إلا مقالات أرسطوطاليس مع بعض آراء أفلاطون والمتقدمين من فلاسفة اليونان قبل أفلاطون . وهذا ما يقوله الشهرستاني في « الملل والنحل » عند الكلام على المتأخرين من فلاسفة الإسلام :

« قد سلكوا كلهم طريقة أرسطوطاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به ، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين »<sup>(٤)</sup> .

وابن خلدون يقول تارة في المقدمة في : « فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها »

كقول الشهرستاني :

« وإمام هذه المذاهب الذي حصّل مسأئلهما ، ودوّن علمها ، وسطر حججها فيما بلغنا في هذه الأحقاب ، هو أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم . . . ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق ، يعنون معلم صناعة المنطق إذ لم تكن قبله مهذبة . وهو أول من رتب قانونها ، واستوفى مسأئلهما ، وأحسن بسطها . . . ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب ، واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا في القليل »<sup>(٥)</sup> .

(١) ص ٢٢ (٢) ص ٢٥٣ (٣) ج ١ ص ١٠٦ .

(٤) ص ٣٤٨ (٥) ص ٥١٤

ويرى تارة رأياً آخر فيقول في فصل : « العلوم العقلية وأصنافها » بعد ذكر عصر الأمامون وما كان فيه من العناية باستخراج كتب اليونانيين وترجمتها :  
« وعكف عليها النظار من أهل الإسلام وخذقوا في فنونها ، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها ، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول ، واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده . ودوتوا في ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم » (١) .

ومن فلاسفة الإسلام أنفسهم من لا يرى في الفلسفة الإسلامية في جملتها أفضل من هذه الآراء .

وقد نقل ماسينيون في كتابه « مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام » جملة من كتاب لابن سبعين الفيلسوف الأندلسي المتوفى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) ، صور فيها ابن رشد والفارابي وابن سينا تصويراً يشف عن رأيه في فلسفتهم ، وهم أئمة الفلسفة الإسلامية . قال في ابن رشد :  
« وهذا الرجل مفتون بأرسطو ومعتظم له ، ويكاد أن يقلده في الحس والمعقولات الأولى ، ولو سمع الحكيم يقول : إن القائم قاعد في زمان واحد ، لقال هو به واعتقده . وأكثر تأليفه من كلام أرسطو : إما يلخصها ، وإما يمشى معها » .  
وقال في الفارابي :

« وهذا الرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكركم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيها لا غير ؛ وهو مدركٌ محققٌ » .  
أما ابن سينا عنده :

« فمؤه مسفسط ، كثير الطنطنة ، قليل الفائدة ؛ وما له من التأليف لا يصلح لشيء . ويزعم أنه أدرك الفلسفة المشرقية ، ولو أدركها لتضوع ريحها عليه ؛ وهو في العين الحميئة . وأكثر كتبه مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون ؛ وما فيها من عنده فشيء لا يصلح ؛ وكلامه لا يعول عليه . و« الشفاء » أجل كتبه . وهو

كثير التخبط ومخالف للحكيم وإن كان خلافه له مما يشكر له ، فإنه بين ما كتبه الحكيم . وأحسن ما له في الإلهيات « التنبهات والإشارات » ، وما رزقه في حى ابن يقطان ؛ على أن جميع ما ذكره فيها هو من مفهوم « النواميس » لأفلاطون وكلام الصوفية .

والواقع أن افتتان الجهرة من متفلسفة الإسلام بأرسطو وبالمشائين وغيرهم من حكماء اليونان كان أصراً غير خفى .

وفى كلام ابن سبعين نفسه بوادر تتم عن شيء من هذا . ألت تراه يعتبر الفارابى هو الفيلسوف لا غيره لأنه أفهم فلاسفة الإسلام ، وأذكرهم للعلوم القديمة ، وهو يريد عاوم الفلسفة المترجمة عن يونان ؟! ثم ألت تراه يلهم ابن سينا لمخالفته للحكيم — أى أرسطو — ويعود فيرى فى ذلك موضعاً للشكر لأن فيه تبييناً لآراء المعلم الأول ؟!

### الخطأ والتحريف فى تعريف الكتب الفلسفية

ولم يغفل المؤلفون الإسلاميون التنبية إلى ما وقع من الخطأ والتحريف فى ترجمة الكتب الفلسفية ونقلها إلى العربية .

قال أبو حيان التوحيدى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) فى « المقابسات » : «... على أن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية ومن العبرانية إلى السريانية ، ومن السريانية إلى العربية ، قد أخذت بخواص المعانى فى أبدان الحقائق إخلالاً لا يحفى على أحد . ولو كانت معانى يونان تهجس فى أنفس العرب مع بيانها الرائع ، وتصرفها الواسع ، وافتنانها المعجز ، وسعتها المشهورة ، لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب ، وكاملة بلا نقص . ولو كنا نفقه عن الأوائل أغراضهم بلغتهم ، كان ذلك أيضاً ناقماً للخليل ، وناهجاً للسبيل ، ومبليغاً إلى الحد المطلوب»<sup>(١)</sup> .

ويقول الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١م) فى كتابه « تهافت الفلاسفة » : « ثم المترجمون لكلام أرسطو ليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج

إلى تفسير وتأويل ، حتى أثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم . وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة في الإسلام الفارابي أبو نصر وابن سينا ، فنقتصر على إبطال ما اختاروه ورأوه الصحيح من مذهب رؤسائهم في الضلال ، فإن ما هجروه واستنكفوا [ هـ ] من المتابعة فيه لا يتارى في اختلاله ، ولا يفتقر إلى نظر طويل في إبطاله»<sup>(١)</sup> .

وفي كتاب « إخبار العامة بأخبار الحكماء » :

« وكل من نقل كلامه — أرسطوطاليس — من اليونانية إلى الرومية وإلى السريانية وإلى الفارسية وإلى العربية حرّف وجزف ، وظن بنقله الإنصاف وما أنصف . وأقرب الجماعة حالاً في تفهيم مقاصده في كلامه الفارابي أبو نصر وابن سينا ، فإنهما دقما وحققتا فحماً عاماً على الوجه المقصود ، وأعدبا منه لوأرده منهله المورود ، ووافقاه على شيء من أصوله ، فكفروا بكفره ، وجعل قدرهما بين أهل الشهادة لقدره<sup>(١)</sup> » .

رأى ابن سينا :

وقد بين ابن سينا في مقدمة كتابه « منطق المشركين » تحكم أرسطو والمثائين في عقول المتفلسفة الإسلامية ، وكشف عن فاسفته هو وموقفها فقال :

« وبعد ، فقد نزع المهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالي مفارقة تظهر منا لما ألقاه متعلمو كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة ، المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم ( يريد به أرسطو ) في تنبيهنا لما نام عنه ذووه وأستاذووه ، وفي تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفي ترتيبه العلوم خيراً مما رتبوه ، وفي إدراكه الحق في كثير من الأشياء ، وفي تفتنه لأصول صحيحة سرية في أكثر العلوم ، وفي إطلاعه الناس على ما يتنهنها فيه السلف وأهل

بلادهم ، وهذا أقصى ما يقدر عليه إنسان يكون أول من مدي يديه إلى تمييز مخلوط وتهذيب مُفسَسَد . ويحق على من بعده أن يلموا شعثه ، ويرموا ثلماً يجدونه فيما بناه ، ويفرّغوا أصولاً أعطاهما . فما قدر من بعده على أن يُفرغ نفسه من عهدة ما ورثه منه ، فذهب عمره في تفهيم ما أحسن فيه ، والتمصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ولو وجدها ما استحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر إلى مزيد عليه ، أو إصلاح له ، أو تنقيح إياه . وأما نحن فسهل علينا التفهيم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ، ولا يبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم . وكان الزمان الذي اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ما قصّر علينا بسببه مدة النفط لما أورثوه ، ثم قابلنا جميع ذلك بالتمط من العلم الذي يسميه اليونانيون « المنطق » — ولا يبعد أن يكون له عند المشرقين اسم غيره — حرفاً حرفاً ، فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لكل شيء وجهة ، فحق ما حق وزاف ما زاف ، ولما كان المشتغلون بالعلم شديدي الاعتزاء إلى المشائين من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فأنحزنا إليهم ، وتعصبنا للمشائين ، إذ كانوا أولى فرقتهم بالتمصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصّروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضبينا عمما تخبطوا فيه وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ، ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى ظله واقفون ؛ فإن جاهرنا بمخالفتهم فعن الشيء الذي لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل» (١) .

وما يكون لنا أن نلتمس وراء ابن سينا مرجعاً للحكم في الفلسفة الإسلامية . وجماع حُكْمِهِ ، أن الفلسفة الإسلامية كانت في غالب أمرها قائمة على العصبية لأرسطو والمشائين . لكن فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، من أمثال ابن سينا ، كانوا يعرفون لأرسطو فضله من غير غفلة عن قصوره أحياناً وخطئه ، وكانت تقع لهم علوم من غير أرسطو ، بل من غير علوم يونان ، وكانت وجهتهم أن يشيدوا هيكلًا فلسفيًا يقوم على قواعد مما محصه النقد من مقالات أرسطو والمشائين ، وترفع أركانه بما عملته

أيديهم وما كسبوه من غير اليونانيين .

ومتى درست آثار الفلاسفة الإسلاميين حتى دراستها — وذلك يحتاج إلى كد الذهن وطول الصبر وحسن الاستعداد وتحصيل الآلة المعينة على تفهم تلك الأساليب — ومتى نشر الباحثين ما لم ينشر من آثار القوم ، وهو كثير ، فسنعرف عن يقين نصيب الفلاسفة الإسلامية من التراث الفلسفي في العالم .

### فلسفة وهكمة

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن فلاسفة الإسلام استعملوا ، إلى جانب كلمة « فلسفة » اليونانية وما اشتق منها ، كلمة « حكمة » العربية وما أخذ منها ، فقالوا : حكمة ، وحكيم ، وعلوم حِكْمِيَّة .

ويظهر أن هذا الاستعمال بعيد العهد يتصل بأول نقل للعلوم القديمة في الإسلام على ما جاء في كتاب « الفهرست » ، فقد ورد فيه :

« كان خالد بن يزيد بن معاوية ( المتوفى سنة ٨٥ هـ = ٧٠٤ م ) يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلاً في نفسه ، وله همة ومحبية للعلوم . خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام »<sup>(١)</sup> .

وقال صاحب الفهرست في موضع آخر :

« قال محمد بن إسحاق : الذي عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية . وكان خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً ذا رأي . وهو أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وكان جواداً ، يقال : إنه قيل له لقد جعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة — فقال خالد : ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني ، إني طمعت في الخلافة فأخترت دوني ، فلم أجدها عوضاً إلا أن

أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة» (١) .

وفي كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » للجاحظ :

« وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً ، وجيّد الرأي أريباً ، كثير الأدب حكماً ، وكان أول من أعطى التراجم والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات » (٢) .

وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ :

« وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً ، وفصيحاً جامعاً ، وجيّد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » (٣) .

وقد أنشئ في عهد الرشيد وولده المأمون بيت الحكمة ، ونجد لبيت الحكمة هذا ذكراً في كتاب الفهرست . ففي أخبار غيلان الشعبي :

« أصله من الفرس ، وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمناقرات ، منقطعاً إلى البرامكة ، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » (٤) .

وفي أخبار سهل بن هارون :

« وكان متحققاً بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له ، وكان حكماً فصيحاً شاعراً ، فارسي الأصل ، شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب » (٥) .

ثم ذكر سعيد بن هارون الكاتب ، وأنه شريك سهل بن هارون في بيت الحكمة ، وذكر « ساعدا » صاحب بيت الحكمة مع سهل بن هارون .

وفي كتاب « سرح العيون » لابن نباتة المصري (٦) في ترجمة سهل بن هارون :

« هو سهل بن هارون بن راهبون ، ويكنى أبا عمرو ، من أهل نيسابور ، نزل

(١) ص ٣٥٤ . (٢) « رسائل الجاحظ » ص ٩٣ جمع السندوبي .

(٣) ج ١ ص ٢٦ طبع السندوبي . (٤) ص ١٠٥ .

(٥) ص ١٢٠ (٦) المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٩ م) .

البصرة فنسب إليها ، ويقال إنه كان شعوبياً ، والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتصب عليها للفرس . وانفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة ، وصنف الكتب معارضاً بها كتب الأوائل حتى قيل له بزجرهم الإسلام . وكان في أول أمره خضياً بالفضل بن سهل ، ثم قدمه إلى المأمون فأعجب ببلاغته وعقله ، وجعله كاتباً على خزانة الحكمة ، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص . وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها أحد أبداً ، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأي واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون ، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة إلا مطرانا واحداً فإنه قال :

الرأى أن تعجل بإنفاذها إليه ، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها . فأرسلها إليه ، واغتبط بها المأمون ، وجعل سهل بن هارون خازناً لها « (١) » .

وكثيراً ما نجد في كتب مؤلفي العربية وضع الحكمة والحكيم مكان الفلسفة والفيلسوف وبالعكس ، وعبروا بحكام الإسلام وفلاسفة الإسلام . والحكيم عندهم على إطلاقه هو أرسطو .

وقد يدل قدم المهدي باستعمال كلمة « الحكمة » في معنى الفلسفة ، وامتداد ذلك إلى أول نقل بالعربية للعلوم القديمة ، على أن أصل معنى كلمة « الحكمة » في كلام العرب كان مُهَيَّداً لهذا الاستعمال غير بعيد منه .